قصيدة مترجمة

لحوم البحر...

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

لكأنما والله قد تمدَّد على سيف البحر في اسكندرية شيطانٌ ماردٌ من شياطين مابين الرجل والمرأة. يخدع الناسَ عن جهنمَ بتبريد معانيها.. وقد امتلأ به الزمانُ والمكان؛ فهو يُرعش ذلك الرمل بذلك الهواء رَعشةَ أعصاب حية؛ ويُرسل في الجو نفخاتٍ من جُرْعَة الخمر في شاربها ثارَ فعربد، ويُطلع الشمس للأعين في منظر حَسْناءَ عُريانةٍ ألقت ثيابها وحياءها معاً؛ ويُرخي الليل ليغطي به المخازي التي خجل النهار أن تكون فيه.

ولَعَمري إن لم يكن هو هذا الماردَ فما أحسَبُه إلا الشيطان الخبيث الذي ابتدع فكرة عرض الآثام مكشوفةً في أجسامها تحت عين التقيّ والفاجر لتعمل عملها في الطباع والأخلاق؛ فسوَّلَ للنساء والرجال أن ذلك الشاطىء علاجُ الملل من الحر والتعب، حتى إذا اجتمعوا فتقاربوا، فتشابكوا، سوَّلَ لهم الأخرى أن الشاطىء هو كذلك علاج الملل من الفضيلة والدين.

ولئن لم يكن اللعينان فهو الرجيمُ الثالث، ذلك الذي تألَّى أن يفسد الآدابَ الانسانيةَ كلَّها لفساد خُلُقٍ واحد، هو حياءُ المرأة؛ فبدأ يكشفها للرجال من وجهها ولكنه استمر يكشف. وكانت تظنه نَزْعَ حجابها فاذا هو أولُ عُرْيها.. وزادت المرأة، ولكن بما زاد فجورَ الرجال، ونقصت ولكن بما نقص فضائلهم، وتغيرت الدنيا وفسدت الطباع. فاذا تلك المرأة ممن يقرونها على تبذلها بين رجلين لا ثالثَ لهما: رجل فَجَرَ، ورجل تخنَّث..

* * *

هناك فكرة من شريعة الطبيعة هي عقل البحر في هؤلاء الناس، وعقل هؤلاء الناس في البحر؛ إذا أنت اعترضتَها فتبيَّنتها فتعقَّبتَها، رأيتَها بلاغة من بلاغة الشيطان في تزيينه وتطويعه، وأصبتَ فكرهُ مستقراً فيها استقرار المعنى في عبارته، آخذاً بمداخلها ومخارجها. وما كان الشيطان عَيِياً ولا غبياً، بل هو أذكى شعراء الكون في خياله، وأبلغهم في فطنته، وأدقهم في منطقه، وأقدرهم على الفتنة والسحر. وبتمامه في هذا كله كان شيطاناً لم تسعه الجنة إذ ليس فيها النار، ولم تُرْضِه الرحمة إذ ليس معها الغضب، ولم يعجبه الخضوع الملائكي إذ ليس فيه الكبرياء، ولم يَخْلُص الى الحقيقة إذ لا تحمل الحقيقة شِعر أحلامه.

وما أتى الشيطان أحداً، ولا وسوس في قلب، ولا سوَّل لنفس، ولا أغوى من يُغويه إلا بأسلوب شعري مُلْتَبِس دقيق، يجعل المرءَ يعتقد أن اطِّراح العقل ساعةً هو عقل الساعة، ويُفسد برهانُه مهما كان قوياً إذ يرتد به من النفس الى أخْيِلةٍ لا تقبل البراهين، ويَقطع حجته مهما كانت دامغة، إذ يعترضها بنزعة من النزعات توجهها كيف داربها الدم لا كيف داربها المنطق.

فكرة من شريعة الطبيعة ظاهرها لِبَعْض الأمر من الشمس والهواء والبحر وما لا أدري، وباطنها لبعض الأمر من فن الشيطان وبلاغته وشعره وما لا أدري. وما كانت الشرائع الالهية والوضعية إلا لاقرار العقل في شريعة الطبيعة كي تكون إنسانية لأنسانها كما هي الحيوانية لحيوانها، وليجد الانسان

ورأيته ورأيته؛ ورأيتني ورأيتني

* * *

أخشى أن نكون في كلا الحالين مُفرطين ومفرطين، وأن نكون في «كُتابنا» قد غلونا وفي «رياض أطفالنا» قد غلونا

أخشى أن يكون الكتاب قسا وأسرف في القسوة، ورياض الأطفال ماعت وأسرفت في اليوعة، أخشى أن نكون في كتابنا قد وضعنا أمام الطفل كل العقبات فلم يستطع أن يجتازها إلا القليل، ونحينا في «رياض الأطفال» كل العقبات فاجتازوها جميعاً، ولكنهم خرجوا لا يعرفون كيف يجتازون عقبة عرضت، ولا يصبرون على شدة ألمت، ولا يتحملون مشقات العلم ومعاناة الدرس، ولا يعالجون مايعن من مصاعب الحياة — وآية ذلك أن الجيل السابق — مع كثرة من تخلف — كانوا أصبر على الدرس وأحمل للمكاره والشاق، وأن الجيل الحاضر أنعم وأظرف وأليق، ولكنهم لا يصبرون على مكروه حتى العلم.

أحمد أمين

ما يحفظ به نفسَه من نفسه التي هي دائماً فوضى ، ولا غاية لها لولا ذلك العقل إلا أن تكون دائماً فوضى . .

وبالشرائع والآداب استطاع الانسان أن يضع لكلمة الطبيعة النافذة عليه ، وأن يرى في هذه الطبيعة أثر جوابه ؛ فكلمتها هي : أيها الانسان أنت خاضع لي بالحيوانيِّ فيك ؛ وكلمته هو : أيتها الطبيعة وأنت لي خاضعة بالالهيِّ فيَّ .

والآن سأقرأ لك القصيدة الفنية التي نظمها الشيطان على رمل الشاطىء في اسكندرية ؛ وقد نقلتها أترجمها فصلاً بعد فصل عن تلك الأجسام عارية وكاسية ، وعن معانيها مكشوفة ومغطاة ، وعن طباعها بريئة ومتهمة ، حتى اتَّسقت الترجمة على ما ترى

قال الشيطان :

ألا إن البهيمية والعقلية في هذا الانسان ؛ مجموعهما شيطانية ...

ألا وإنه ما من شيء جميل أو عظيم إلا وفيه معنى السخرية به .

هنا تتعرى المرأة من ثوبها ، فتتعرى من فضيلتها .

هنا يخلع الرجل ثوبه ، ثم يعود إليه فيلبس فيه الأدب الذي خلعه .

رؤية الرجل لحم المرأة المحرمة نظر بالعين والعاطفة .

يرى ببصره الجائع كما ينظر الصقر إلى لحم الصيد .

ونظر المرأة لحم الرجل رؤية فكر فقط . . .

تحول بصرها أو تخفضه ، وهي من قلبها تنظر .

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

يالحوم البحر ! سلخك جزار من ثيابك .

جزار لا يذبح بألم ولكن بلذة . .

ولا يحزُّ بالسكين ولكن بالعاطفة .

ولا يُميت الحيَّ إلا موتاً أدبياً . .

إلى الهيجاء يا أبطال معركة الرجال والنساء .

فهنا تلتحم نواميسُ الطبيعة ونواميسُ الأخلاق .

للطبيعة أسلحةُ العُري ، والمخالطة ، والنظر ، والانس ، والتضاحك ، ونُزُوع المعنى إلى المعنى . .

وللأخلاق المهزومةِ سلاحٌ من الدين قد صَدِىء ، وسلاحٌ من الحياء مكسور .

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

الشاطىء كبير كبير ، يسع الآلاف والآلاف .

ولكنه للرجل والمرأة صغير صغير ، حتى لا يكون إلا خلوة ...

وتقضي الفتاةُ سنتها تتعلم ، ثم تأتي هنا تتذكر جهلها وتعرف ماهو . .

وتمضي المرأة عامها كريعة ، ثم تجيء لتجدَّ هنا مادة اللؤم الطبيعي . . .

لو كانت حَجَّاجةً صوَّامةً ، للعنتها الكعبة لوجودها في « استانلي » .

الفتاة ترى في الرجال العُريانين أشباح أحلامها ، وهذا معنى من السقوط .

والمرأة تسارقهم النظر تنويماً لرجلها الواحد ، وهذا محى من المواخير . . .

أين تكون النية الصالحة لفتاة أو امرأة بين رجال عريانين ؟ —

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

هناك التربية ، وهنا إعلان الاغفال والطيش .

وهناك الدين ، وهنا أسباب الأغراء والزلل .

وتكلُّفُ الأخلاق ، وهنا طبيعة الحرية منها .

والعزيمة بالقهر يوماً بعد يوم ، وهنا إفسادها بالترخُّص يوماً بعد يوم .

والبحر يعلّم اللاتي والذين يسبحون فيه كيف يفرقون في البر . .

لو ترى هؤلاء وهؤلاء معرَّةً اغتسالهم معاً في البحر ، لاغتسلوا من البحر .

فقطرة الماء التي نجّستها الشهوات قد انسكبت في دمائهم .

وذرة الرمل النجسة في الشاطىء يستكبر حتى تصير بيتاً نجساً لأب وأم . .

يالحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

يجيئون للشمس التي تقوى بها صفات الجسم ،

ليجد كل من الجنسين شمسه التي تضعف بها صفات القلب .

يجيئون للهواء الذى تتجدد به عناصر الدم ؛

ليجدوا الهواء الآخر الذى تفسد به معانى الدم .

يجيئون للبحر الذى يأخذون منه القوة والعافية ،

ليأخذوا عنه أيضاً شريعته الطبيعية : سمكٌ تطارد سمكة . .

ويقولون ليس على المصيِّف حرج .

أى لأنه أعمى الأدب ، وليس على الأعمى حرج .

ياحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . .

* * *

المدارس ، والمساجد ، والبِيَعُ ، والكنائس ، ووزارة الداخلية ، هذه كلها لن تهزم الشاطىء .

فأمواج النفس البشرية كأمواج البحر الصاخب ، تنهزم أبداً لترجع أبداً ؛ لايهزم الشاطىء إلا ذلك «الجامع الأزهر» ، لو لم يكن قد مُسخ مدرسة . فصرخةٌ واحدةٌ من قلب الأزهر القديم ، تجعل هدير البحر كأنه تسبيح ، وتردُّ الأمواج نقيةً بيضاء[1] ، كأنها عمائم العلماء .

وتأتى الى البحر بأعمدة الأزهر للفصل بين الرجال والنساء ، ولكني أرى زمناً قد نقل حتى الى المدارس روح «الكازينو» . .

ياحوم البحر ! سلخك من ثيابك جزار . . . !

* * *

هنا على رغم الآداب ، مملكةٌ للصيف والقيظ ، سلطانُها الجسم المؤنثُ العارى .

أجسامٌ تعرض مفاتنها عرضَ البضائع ؛ فالشاطىء حانوت للزواج . !

وأجسامٌ تعرض أوضاعها كأنها فى غرفة نومها لا فى الشاطىء . . .

وأجسامٌ جالسةٌ لغيرها تحيط بها معانيها ملتمسةً معانيه ، فالشاطىء سوقٌ للرقيق . .

وأجسامٌ حقيرةٌ جالسةٌ للشمس والهواء ، فالشاطىء كدار الكفر لمن أكره[2] .

وأجسامٌ عليلة تفتحمها الأعين فتزدريها ، لأنها جعلت الشاطىء مستشفى . . . !

وأجسام خليعة أضافت من استانبل وأخواتها الى منارة اسكندرية ، ومكتبة اسكندرية ، مزبلة اسكندرية . . .

كان جدال المسلمين فى السفور فأصبح الآن فى العُرْى .

فاذا تطوّر ، فماذا بقى من تقليد أوربا إلا الجدال فى شرعية جمع المرأة بين الزوج وشبْه الزوج[1] . ؟

انتهى ما استطعتُ ترجمته ، بعد الرجوع فى مواضع من القصيدة الى بعض القواميس الحية . . ، الى بعض شبان الشاطئ ؟

طنطا مصطفى صادق الرافعى

(١) يرى بعضهم أن مثل هذا الوصف خطأ ، وأن الصواب أن يقال « بيض » ولسنا من هذا الرأى ، وقد غلط فيه المبرد ومن تابعوه لغفلتهم عن السر فى بلاغة الاستعمال مرة فى الوصف بالمفرد ومرة فى الوصف بالجمع

(٢) إشارة الى الآية الكريمة : « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان »

(١) يسمى هذا فى اللغة الضد بفتح الضاد والميم ، وهو أن يخال الرجل المرأة ولها زوج ومنه قول الشاعر :

تريدين كيما تضمدينى وخالداً وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد

ومن هذا يقال فى الرجل : ذاق الضماد (بكسر الضاد) أى ذاق الطعم الذى وصفه أناتول فرانس . . .

حول ذكرى الشاعرين

شـــوقى وحافظ

كتب كثير من الأساتذة الغير ، يأسفون على إهمال حافظ ، ويتألمون على أن كتاباً لم يصدر عنه . ولم يذكر واحد منهم ، أن المكتبة العربية فى دمشق ، قد اخرجت كتاباً فى ذكرى الشاعرين فى (٧٥٠) صفحة كبيرة . فيه (١٢) مقالة عن حافظ لطائفة من أكبر كتاب مصر والشام كالرافعى والمازنى وطه حسين وهيكل والبشرى والغربى و (١٦) قصيدة فى حافظ لطائفة من كبار الشعراء كشوقى (رحمه الله) والزهاوى ومطران والعقاد ومحرم والبزم والهراوى وجبرى ، وأكثر من الف بيت من شعر حافظ الذى لم ينشر فى ديوانه ، ومثل هذا عن شوقى ، وخمس مقالات فى المقارنة بينهما للزيات وطه حسين والمازنى ومطران وسعيد الأفغانى .

أفليس من الحق ان ينوّه بهذا العمل ، وان يشكر للمشق ؟

« دمشق » « عاتب »